الفائدة الستون:

الإفادة بذكر بعض أسباب الاستفادة

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فما من طالب علمٍ إلا وهو يرغب في سرعة الاستفادة، والوصول إلى درجة الإفادة، وهذا الأمر يتحقق بأسباب شرعية، وقدرية ينبغي للطالب أن يحرص عليها، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد جعل أسباب للوصول إلى المطلوب.

فأول أسباب الاستفادة، التفرغ لطلب العلم:

بحيث أن الإنسان يَعطي وقته للعلم، وكما قال بعضهم: الْعِلْمُ إِذَا أَعْطَيْتَهُ كُلَّكَ أَعْطَاكَ بَعْضَهُ، بينما الذي لا يتفرغ ربما يحصل على بعض الخير، لكن لا يصل إلى الدرجة المطلوبة التي يرغب فيها، والذي يُعين على التفرغ أن الإنسان يعلم أن طلب العلم أشرف، وأزكى، وأعظم ما حَصَّلته النفوس.

الأمر الثاني: الحرص على الطلب:

فإن الحرص على العلم، وعلى الزيادة من أسباب الاستفادة.

فعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

فَغَبَّطه النبي ﷺ لحرصه على العلم، وهكذا الحفظ.

الأمر الثالث: الحفظ:

أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ(١).

وفي «الصحيحين» عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنِ القَوْمُ؟ - أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ -**» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ: «**المُقَيَّرِ**» وَقَالَ: «**احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ**»(٢).

الرابع: الدعاء:

فالدعاء سببٌ عظيم في تحصيل المطلوب، وفي البعد عن المرهوب، والمكروه؛ ولهذا علمَّ الله عَزَّوَجَلَّ نبيه محمد ﷺ أن يقول: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

[طه:١١٤]، وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا»(١).

الخامس: الاستمرار وعدم الانقطاع:

فمن ثبت نبت، ومن سار على الدرب وصل، بينما المنقطع وإن كان قد حفظ شيئًا فربما ضاع منه وفاته، والمستمر وإن كان قليل الحفظ، إلا أنه يوشك أن يدرك من سبقه.

السادس: الإخلاص:

فإن الإخلاص له بركة عظيمة، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يؤيد، ويحفظ، وينصر من أخلص له، وطَلَب العلم لأجله، فيوشك أن يستفيد ويوشك أن يفيد وأن كان علمه قليل.

السابع: المراجعة:

إذا حفظ الإنسان ودرس يحتاج إلى المراجعة، وفيما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قال: تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ يُهَيِّجُ بَعْضُهُ بَعْضًا(٢).

بينما إذا حفظ الإنسان ولم يراجع يوشك أن ينسى ولا يستفيد؛ فالمراجعة شأنها عظيم وهي مطلوبة شرعًا وقدرًا؛ لأن الحفظ خوان، ولأن الإنسان ما سمي بهذا الاسم إلا لأنه ينسى، والمراجعة قد تكون مع نفسه وقد تكون مع غيره، وربما تكون مع غيره أنفع.

الثامن: البعد عن الشواغل:

فإن من شغل بشيء صُرِفَ عن غيره، ويوشع بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٩٢٥).

(٢) «العلل ومعرفة الرجال» (٢٠).

لِقَوْمِهِ: «لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ، وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا، وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا، وَلَا آخَرُ قَدِ اشْتَرَى غَنَمًا - أَوْ خَلِفَاتٍ - وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلَادَهَا»(١).

لأن الشواغل قد تحيل بين الإنسان وبين الوصول إلى المطلوب.

وفي المأثور عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا هممتُ بشراء بصلة ضاعت مسألة.

التاسع: ملازمة أهل العلم وعدم الانقطاع:

فإن أبَا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لازم النبي ﷺ في فترة وجيزة واستفاد، وقال عن نفسه: «وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا»(٢).

وسفيان أبن عيينة لازم عمرو بن دينار عشرين سنة، وما زال العلماء يُلزمون مشائخهم حتى تحصل لهم الفائدة المرجوة.

العاشر: الهمة العالية:

بحيث أنه لا يرضى لنفسه أن يكون في الدون ويريد أن ينصر دين الإسلام، فإنه يرى أن هذا الإسلام يحتاج إلى من يقوم به دعوة وعملًا، ويريد أن يرضي الله عَزَّوَجَلَّ فلابد من الهمة العالية؛ لأن الهمة الهابطة تؤدي بصاحبها إلى المراتب الهابطة، والهمة العالية تؤدي بصاحبها إلى المنازل الرفيعة.

الحادي عشر: الكتابة:

فلابد من الإنسان أن يكتب ويُدَون ما حفظه وما علمه؛ فإن ذلك من

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٤٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٤٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

أسباب حفظ العلم، ثم هو من أسباب رسوخ العلم في الذهن، وقديمًا قيل:

العِلمُ صَيدٌ والكِتابةُ قَيدُهُ ❁❁❁ قَيِّدْ صيودكَ بالحِبَالِ الواثِقَة

فَمِن الحَماقَةِ أَنْ تَصيدَ غَزالَةً ❁❁❁ وتَترُكها بَينَ الخَلائقِ طالِقَة

وقال بعضهم:

كل علم ليس في القرطاس ضاع ❁❁❁ كـل سر جـاوز الاثنـين شـاع

وقد تقدم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ.

الثاني عشر: التدريس:

فإن كل شيء ينقص بالإنفاق منه إلا العلم يزيد بكثرة الإنفاق منه.

يَزيـدُ بِكَثـرَةِ الإِنفـاقِ مِنـهُ ❁❁❁ وَيـنقُصُ أَن بِـهِ كَفًّـا شَـدَدتا

فالعلم كلما أنفقت منه كلما زاد ونما، وتوسعت المدارك، واحتجت إلى البحث والطلب، فقد سئل سفيان ابن عيينة: من أحوج الناس إلى العلم؟ قال: العلماء.

الثالث عشر: النهمة في طلب العلم:

بحيث يكون عند طالب العلم نهمة، كما أن صاحب الدنيا عنده نهمة ما الذي يجعله يقوم إلى عمله وإلى شغله ويجد ويجتهد مع التعب والنصب؟

لأنه عنده نهمه لذلك، وهكذا طالب العلم ينبغي أن يكون منهومًا من العلم لا يقنع يريد أن يحفظ في هذا، ويحفظ في هذا ويريد أن يُحَصِلَ هذا، ويريد أن يعلم هذا، والنبي ﷺ يقول: «**مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ، مَنْهُومٌ فِي الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ،**

وَمَنْهُومٌ فِي الْعِلْمِ لَا يَشْبَعُ مِنْه»[١].

الرابع عشر: تقديم الأهم فالأهم:

إذا أردت أن تستفيد تأخذ الأهم فالأهم ومن حُرِمَ الأصول حُرِمَ الوصول، ومن لم يقدم الأهم ربما لا يتحصل على الخير العظيم، والنبي ﷺ يقول لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»[٢].

فهكذا أنت تعلم التوحيد، والعقيدة، وتعلم ما تستفيد منه لهذا الأمر لتصل به إلى دراسة التوحيد والعقيدة، ونشر العقيدة الصحيحة، والفقه الصحيح، كما جاء عن رسول الله ﷺ.

الخامس عشر: عدم التشعب:

كثير من طلاب العلم يلازم العالم ويحفظ ويصبر في طلب العلم وغير ذلك، ولكنه يتشعب فيريد هذا، وهذا، وهذا فلا يحصل على شيء، من أراد العلم جملة فاته جملة.

والمَثل يقول: عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة.

فإذا كنت ستقرأ عشرة كتب ولا تستفيد منها، وتقرأ كتابًا واحدًا وتستفيد منه، فاقرأ الكتاب واحرص عليه وراجعه، وتحفظ فيه، ثم بعد ذلك تنتقل إلى غيره من الأبواب.

السادس عشر: البعد عن المعاصي:

فإن المعاصي سالبة للاستفادة. ومانعة من الاستفادة.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣١٢) عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.
(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ❁❁❁ فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ❁❁❁ ونُورُ اللهِ لا يُهْدَى لِعَاصِي

نسأل الله السلامة والعافية.

❁ السابع عشر: الأكل من الطيبات:

فإن ذلك من أسباب صفاء الذهن، ومن أسباب البركة في العمر والعلم.

❁ الثامن عشر: الصبر:

قيل لبعضهم بما نلت العلم قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب.

❁ التاسع عشر: تنظيم الوقت:

بحيث أن الإنسان ينظم وقته، وقتًا للحفظ، ووقتًا للمراجعة، ووقتًا للتدريس، وقتًا للنوم والأكل والشرب، فإن النفس كالراحلة! إذا اجهدتها جَهِدت ولم تتحصل منها على شيء، وإذا أعطيتها حظها من أكلها، وشربها، وراحتها، وصلت.

❁ العشرون: العمل بالعلم:

فإن العمل بالعلم يجعلك متذكرًا للأحاديث والآيات الدالة على هذه المسألة التي أنت بصددها.

❁ الحادي والعشرون: التواضع للمدرس:

وفي أثر عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحُلْمَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَلِيَتَوَاضَعَ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا

جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ، فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ(١).

فلا يُؤخذ العلم من مبتدع، ولا جاهل، وإنما يُؤخذ العلم ويطلب عند أهله.

الثاني والعشرون:

البعد عن أهل البدع وكتبهم لما في ذلك من ضياع العمر والوقت والبركة وقد قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام:٦٨].

الثالث والعشرون:

التخصص في الفنون بحيث يأخذ من كل فن حاجته حتى يفهمه وينتقل إلى غيره، وقد نبه العلماء قديمًا على أهمية التخصص في العلوم، فقال الخليل ابن أحمد الفراهيدي: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا فَاقْصِدْ لِفَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ أَدِيبًا فَخُذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ(٢).

وقال أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلامٍ: مَا نَاظَرَنِي رَجُلٍ قَطُّ وَكَانَ مُفَنِّنًا فِي الْعُلُومِ إِلا غَلَبْتُهُ، وَلا نَاظَرَنِي رَجُلٌ ذُو فَنٍّ وَاحِدٍ إِلا غَلَبَنِي فِي عِلْمِهِ ذَلِك(٣).

الرابع والعشرون:

إدامة النظر في الكتب والمصنفات لما في ذلك من جوامع كالمراجعة وشحذ الذهن وزيادة العلم وقد قال بعضهم حين سئل: بما نلت العلم، قال: بدوام النظر.

---

(١) «الشريعه» (١/ ٤٧٤) للآجُري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٢٢) لابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٢٣) لابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فلا يخلو كتابًا من فائدة، قال أبو الفرج ابن الجوزي: فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطِّلاع على الكتب التي قد تخلَّفت مِن المصنَّفات، فليُكثِر من المطالعة؛ فإنه يرى مِن علوم القوم وعلوِّ هِمَمهم ما يشحذ خاطره ويُجرِّك عزيمتَه للجدِّ، وما يَخلو كتاب مِن فائدة[١]. اهـ.

ويدخل في ذلك معرفة سيرة السلف الصالح وما كانوا عليه من العلم والعمل.

الخامس والعشرون:

وهي ملاك ما تقدم، الاستعانة بالله تعالى فإنها نعم البلغة وفي قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:٥].

بيان ذلك فلا قدرة على عبادة الله تعالى إلا بعونه، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ**»[٢].

ولو أراد أحد أن يُفصِّلَ لزاد، لكن هذه أمهات المسائل. فإذا أردنا الوصول إلى الاستفادة في الوقت القصير فما علينا إلا الاجتهاد.

فإذا أراد أحدٌ أن يسافر فإنه يسأل أين الطريق الموصل، والأقرب، والأسهل، فهكذا العلم يحتاج إلى أن يعرف الطالب الطريق الأسهل والموصل فيفيد ويستفيد.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين.

---

(١) «صيد الخاطر» (٤٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

بهذا ننتهي مما عزمنا على جمعه، ولله الحمد والمنة، وأسأله المزيد من فضله، وأشكره على جميع نعمه ومننه.

ثم أشكر والديَّ، ومشايخي على ما قاموا به من التربية والتعليم، رحم الله أمواتهم، وحفظ أحيائهم.

وأشكر لأخي المبارك أبي عمر ماهر الجيلاني، حيث قام بتنسيق الكتاب وتخريج الأحاديث والآثار من مصادرها، وأشكر من فرغها من المواد الصوتية، والحمد لله رب العالمين.

و«**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**».